الوحدة الوطنية في قطر

«دراسة لكيفية تحقيق الوحدة القطرية من عام ١٩٦٨
إلى عام ١٩١٣م كأحد معالم التغيير
في المجتمع العربي الحديث»

دكتور
رأفت غنيمي الشيخ
أستاذ التاريخ المعاصر المساعد
كلية التربية – جامعة عين شمس

مقدمة

ظهرت قطر كوحدة سياسية في عهد الشيخ محمد آل ثاني حيث نقلت من النظام القبلي الى نظام الدولة ذات المفهوم الجغرافي والسيادة على أرض معينة ويمكن اعتبار قطر كوحدة سياسية في الستينات من القرن التاسع عشر بداية لتاريخ قطر الحديث، فقد كانت شبه الجزيرة القطرية قبل هذا الزمن تعيش كغيرها من أجزاء ومناطق في شبه جزيرة العرب، سواء على سواحل الخليج أو في الداخل في ظل تنظيمات قبلية تتخذ لها مضارب في مواطن متفرقة من شبه جزيرة العرب.

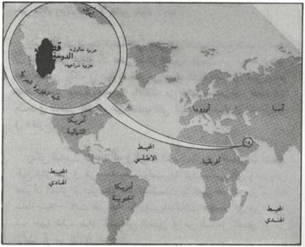
إيران
قطر
الدوحة
جزيرة حالول
جزيرة شراعوه
شبه الجزيرة العربية
أمريكا الشمالية
أوروبا
آسيا
المحيط الأطلسي
أفريقيا
المحيط الهادي
أمريكا الجنوبية
المحيط الهندي

وهذا يعني أن شبه جزيرة قطر لم يكن لها كيان سياسي ذاتي قبل الشيخ محمد آل ثاني، وليس هذا بغريب أو بشيء غير منطقي، فاقليم نجد على سبيل المثال لم يعش وحدة سياسية ولم يظهر في شكل كيان سياسي قبل آل سعود، وان كان يجب أن ندرك أن وحدة قطر السياسية في عهد الشيخ محمد بن ثاني لم تكن كاملة أي أننا لا نستطيع أن نقارنها بالوحدات السياسية التي تقوم في زمننا المعاصر كقيام دولة قطر المستقلة ذاتها في أول السبعينات من القرن العشرين وغيرها أمثلة كثيرة.

واذا نظرنا إلى الشيخ محمد بن ثاني باعتباره صاحب الأساس في ظهور قطر كوحدة سياسية، فاننا نجد ابنه الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني قد حقق الوحدة الوطنية في شبه جزيرة قطر، بعد أن عاشت قطر في ظل انقسامات قبلية تخضع بعض القبائل القطرية للبحرين، والبعض الآخر يخضع لآل سعود، وغير هؤلاء وهؤلاء قبائل لا تدين بالولاء لأحد(١).

ولرب قائل أن الوحدة الوطنية التي عمل على تحقيقها الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني لم تكن شاملة وأن بعض القبائل القطرية خرجت عن الوحدة الوطنية وهذا حقيقي ولكنه في نظرنا لا يقلل من جهود الشيخ قاسم في سبيل إرساء قواعد الوحدة الوطنية وتدعيمها والمحافظة على بقائها واستمرارها، خاصة إذا وضعنا في الاعتبار الظروف غير العادية التي تحيط بقطر سواء في الداخل أو في الخارج.

ويمكن للباحث ملاحظة أنه في الوقت الذي لم يكن من السهل فيه انضواء جميع قبائل قطر في ظل وحدة وطنية وتحت راية كيان سياسي ذاتي واحد ونحن نعلم أن القبائل لم تتعود مثل هذه التنظيمات ولا ترضى بغير التحرر من أية سلطة بديلا– كانت قطر هدفا لمؤامرات وتداخلات خارجية، أي من خارج شبه جزيرة قطر، سواء كانت من البحرين أو من الساحل العماني أو من الانجليز أو من الأتراك العثمانيين.

ومهما يكن من شيء فان الوحدة الوطنية في شبه جزيرة قطر قد تحققت إلى حد كبير على يد الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني، ويجب أن ننبه إلى أن كل شيء في أوله يبدأ صغيرا، وكما يذكر المؤرخون بأن لكل حدث تاريخي بداية وذروة ونهاية، وأن نهاية الحدث بداية لحدث تاريخي آخر وهكذا، فان جهد الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني كان بداية لا بأس بها على طريق تحقيق وحدة وطنية شاملة وقوية في شبه جزيرة قطر، وليس هذا مما يقلل من جهد الشيخ قاسم في هذا السبيل بقدر ما يعطيه حقه من التقدير في ظل الظروف التي تحيط بشبه جزيرة قطر والتي ذكرناها.

صروح الوحدة الوطنية

تسليم قبائل قطر بزعامة آل ثاني:

لعل أول صروح الوحدة الوطنية في شبه جزيرة قطر والتي جاهد الشيخ قاسم محمد آل ثاني من أجل تحقيقها، هو تسليم قبائل قطر بزعامة الشيخ قاسم وبالتالي قبيلة آل ثاني على شبه جزيرة قطر. وهذا التسليم يثير تساؤلا عن أسبابه وطبيعته، ولعلنا لا نجافي الصواب إذا ذكرنا أن سبب تسليم القبائل العربية القطرية بزعامة آل ثاني كان بسبب حاجة هذه القبائل إلى من يجمع شملهم وينهي خلافاتهم مع بعضهم البعض، بل والى من يقودهم في الدفاع عن أرضهم وأموالهم وأرواحهم ضد اعتداءات المغيرين على شبه جزيرة قطر.

وكان آل ثاني هم الذين تتحقق فيهم هذه المواصفات رغم عدم كونهم أكبر القبائل القطرية عددا، إذ ليست العبرة بكثرة عدد أفراد القبيلة وإنما العبرة بما تمتاز به القبيلة من سرعة الحركة والوحدة الداخلية والزعامة الواعية والثروة حتى ولو كانت القبيلة التي تمتاز بكل ذلك أقل في عدد أفرادها من غيرها من القبائل. ويجب أن نلاحظ أن الثروة التي تمتع بها آل ثاني منذ عهد الشيخ

محمد بن ثاني قد أوصلت الشيخ محمد نفسه إلى مركز الزعامة على شبه جزيرة قطر كما عرف لدى المؤرخين الأجانب باسم الدوحة(٢) كما أن تلك الثروة مكنت آل ثاني من تأليف القبائل القطرية معهم، ومنحتهم مركزا مميزا بالنسبة للقبائل الأخرى. كما يجب أن ندرك أن قبيلة المعاضيد التي ينتسب لها آل ثاني من القبائل المتحضرة في منطقة شرق الجزيرة العربية(٣) وهذا سبب آخر يدعو القبائل القطرية إلى التسليم بزعامة آل ثاني على شبه جزيرة قطر ويمكن أن نضيف سببا آخر لتسليم القبائل القطرية بزعامة آل ثاني على شبه الجزيرة القطرية، هذا السبب يتمثل في أن آل ثاني راعوا كيانات القبائل الأخرى في شبه الجزيرة(٤).

وأما عن طبيعة تسليم قبائل قطر بزعامة آل ثاني على شبه الجزيرة القطرية فأنه وان لم يكن قد نضج بعد بين هذه القبائل الوعي السياسي وتقدير أهمية الوحدة السياسية لشبه جزيرة قطر ذات الوحدة الطبيعية، إلا أن إحساسهم بما سوف تحققه الوحدة الوطنية من خير لهم دفعهم إلى الانتظام فى الاطار الوطني لشبه جزيرة قطر كاملة بعد أن كان مفهومهم عن الوطن لا يتعدى حدود مضارب القبيلة من الأرض. ومن ثم فانه ما أن عاد الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني إلى قطر ضمن التسويات التي تمت في نهاية عام ١٨٦٨م بين قطر والبحرين وبريطانيا كان أول عمل أقدم عليه أن أمسك بزمام السلطة في شبه جزيرة قطر وقام يدعو العشائر كلها إلى الاستقلال فلبت دعوته(٥)، من خلال إحساسها -أي القبائل القطرية- بما سيتحقق لهم في ظل الوحدة الوطنية.

إحساس القبائل القطرية بالانتماء للعروبة والاسلام

وثاني صروح الوحدة الوطنية في شبه جزيرة قطر يتمثل في إحساس أهلها بالانتماء للعروبة والاسلام، فان العروبة في قطر قديمة قدم الانسان بشبه الجزيرة القطرية، والاسلام دخلها على يد الصحابي «العلاء بن الحضرمي» في العام

السادس للهجرة النبوية ومن ثم كان أثر العروبة والاسلام عند قبائل قطر دافعا الى الانضواء في إطار وحدة وطنية هويتها وعقيدتها الاسلام، وبالتالي وجدنا معظم هذه القبائل وعلى رأسهم الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني يرحب بدعوة التوحيد التي انبعثت في نجد على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحملها الى قطر آل سعود، لأن هذه الدعوة جددت في نفوس قبائل قطر – كما جددت في نفوس كل العرب والمسلمين أينما كانوا – الانتماء العربي الاسلامي في إطاره الصحيح.

ويمكن أن نحدد بدء دخول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى شبه جزيرة قطر حين سار «ابراهيم بن عفيصان» القائد السعودي في عام ١٢٠٧هـ (١٧٩٢م) إلى قطر ومعه جماعة من أهل «الخرج» و «الفرع»(٦)، ودخل قرى قطر فيما عدا الزبارة التي تحصن بها العتوب، ولكن «ابراهيم بن عفيصان» شدد هجماته على «الزبارة» فعوّل العتوب على الرحيل من الزبارة وساروا إلى البحرين وأخضعوها لحكمهم(٧). وبهذا صارت الزكاة تحصل لحساب السعوديين من جميع القبائل تقريبا التي تنزل بين قطر وعُمان ومعظم قبائل قطر وصار آل ثاني يدفعون هذه الزكاة نيابة عن القبائل القطرية التي تسلم بالولاء لهم(٨).

وعمل الشيخ محمد بن ثاني – الذي اعتنق دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب – وكيلا للسعودين في قطر فكان مسئولا عن جمع الضريبة – الزكاة – من القبائل القطرية ويسلمها بعد ذلك إلى إمام السعوديين في نجد – الامام فيصل بن تركي – وذلك في الفترة من عام ١٨٥١ إلى عام ١٨٦٦م(٩)، ومن المعلوم أن الدولة السعودية الثانية التي أقامها فيصل بن تركي قد انتهت عام ١٨٦٦م. وإن ظل القطريون يشايعون السعوديين ويؤيدون حكمهم بل وانخرطوا في اعتناقهم للدعوة السلفية(١٠).

تقدير الشيخ قاسم للطبيعة القبلية

وثالث صروح الوحدة الوطنية في قطر تقدير الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني لطبيعة القبائل العربية عامة بما فيها القبائل القطرية بطبيعة الحال من حب

للثورة على السلطة والنظام، ومن هذا التقدير عمل على امتصاص كل محاولة تحدث من بعض القبائل القطرية للخروج على الوحدة الوطنية بالترضية المعنوية أو المادية تارة وبالشدة تارة أخرى، مع العفو عن الخارجين أكثر من مرة حتى يتعود الخارجون على احترام السلطة والتمسك بالوحدة الوطنية.

ومن الأمثلة على الترضية التي لجأ اليها الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني مع القبائل القطرية ماترويه الوثائق عن ترضيته لقبيلة البوعينين عام ١٩٠٨م. ذلك أن السفير البريطاني بالآستانة أبلغ السير إدوارد جراي وزير الخارجية البريطانية بفحوى رسالة وصلت اليه من القنصل البريطاني بالبصرة تفيد أن القائم بعمل والي البصرة العثماني قد أخبره - أي أخبر القنصل البريطاني - أن الشيخ عبدالرحمن البوعينين قد تخلى عن منصب مدير «الوكرة» إحدى مدن شبه جزيرة قطر جنوب الدوحة، وأن قبيلة البوعينين قد بعثت وفدا من رجالها إلى والي البصرة يطلب إقامة مركز عسكري تركي بالوكرة(١١).

وقد أوضح القنصل البريطاني في البصرة أن المقيم البريطاني في «بوشهر» بالخليج يخشى من أن بعثة قبيلة البوعينين قد تؤدي إلى مزيد من التدخل التركي في شبه جزيرة قطر خاصة والخليج العربي بصفة عامة استنادا إلى السيادة التركية على هذه الأجزاء، وعليه فان القنصل البريطاني سيوضح للوالي العثماني بالبصرة خطأ الاستماع إلى أية طلبات تطلبها قبيلة البوعينين(١٢) ولا يخفى علينا هذا الموقف البريطاني الذي يسعى الى منع الأتراك من اتخاذ أية خطوات إجرائية نحو قطر يكون من شأنها تأكيد السيطرة التركية فى الوقت الذي تحاول فيه السلطات البريطانية إبعاد اليد التركية عن شبه جزيرة قطر بل وعن بقية مناطق الخليج التي للأتراك ادعاءات عليها. ومما لا شك فيه أن هذا الموقف البريطاني قد أفاد الوحدة الوطنية القطرية ولو بطريقة غير مباشرة وغير مقصودة.

كما أن المقيم العام البريطاني في الخليج قد كتب من «بوشهر» الى القنصل البريطاني بالبصرة من أجل توجيه نظر الوالي التركي بالبصرة لكي لا يشجع

مطالب وفد قبيلة البوعينين الذي ترأسه «أحمد بن خاطر» وأن يقوم القنصل البريطاني بتهدئة خواطر البوعينين ويبلغهم باستعداد الممثل البريطاني بالبحرين للذهاب إلى قطر وازالة سوء التفاهم بين قبيلة البوعينين والشيخ قاسم بن محمد آل ثاني(١٣).

ولكن الشيخ قاسم اتخذ خطوة إيجابية من أجل الحفاظ على الوحدة الوطنية القطرية وجاءت هذه الخطوة ترضية لقبيلة البوعينين، وتفصيل ذلك أن الشيخ قاسم توجه من «لوسيل» إلى الدوحة، وبعث ابن أخيه خالد بن محمد آل ثاني الى الوكرة حيث طلب من قبيلة البوعينين عقد لقاء مع الشيخ قاسم، وقد لبّى زعماء البوعينين الدعوة وقد حرص الشيخ قاسم في هذا اللقاء على تذكير البوعينين بالصداقة القديمة المستقرة والمحبة الدائمة بين المعاضيد –قبيلة الشيخ قاسم– والبوعينين، ووعدهم بأنه سيعمل هو وأبناؤه من بعده على عدم اللجوء الى أية إجراءات قد تشوب العلاقات الودية بين البوعينين وآل ثاني. وقد تقبل زعماء البوعينين هذه التأكيدات بالرضا والقبول وقرروا البقاء في الوكرة كما كانوا قبلا. ومن ثم زار الشيخ عبد الرحمن – زعيم البوعينين – رؤساء عشائر وأسر البوعينين وطمأنهم وهذا يعني نجاح الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني في ترضية قبيلة البوعينين ترضية معنوية.

كما تروي المصادر عن كيفية معالجة الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني لفتنة محمد بن عبد الوهاب الذي ينتمي الى الرعوية التركية والذي كان زعيما «للغارية» وتآمر ضد الشيخ قاسم في عامي ١٨٨٦ و ١٨٨٧م، على أمل أن يتزعم هو – أي محمد بن عبد الوهاب – شبه جزيرة قطر، ومحمد بن عبدالوهاب آل فيحان من قبيلة سبيع كانت تربطه علاقة مصاهرة مع آل ثاني، كما كان تاجرا للؤلؤ ومستشارا للشيخ محمد بن ثاني بالاضافة الى تزعمه قبيلة آل كوارة بسبب مصاهرته لهم وأقام في بلدة «الغارية» وهي من أهم قرى قطر، وقد حاول الأتراك الاعتماد عليه كمنافس للشيخ قاسم بن محمد آل ثاني الذي رفض المشاريع التركية لتقوية السلطة التركية على قطر(١٥).

وبدأت تحرشات محمد بن عبد الوهاب عندما اقترح ضابط البحرية التركية المسئول عن سواحل قطر أن يسمح لأهل «الغارية» بالاقامة في سلام تحت حكم محمد بن عبد الوهاب، وسافر محمد بن عبد الوهاب الى الأحساء – بعد أن اقترح إقامة دار تركية منظمة للعوائد في الدوحة – ثم عاد ومعه خمسون رجلا من رجال الضبطية التركية، ولقد أثارت هذه الاجراءات غضب الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني وهدد بالانسحاب الى الدوحة.

واستنادا إلى المساعدات والمساندة التركية بني محمد بن عبد الوهاب في «الغارية» قلعة كبيرة محصنة ودعا جميع أثرياء البلد إلى سكناها، وأخذ يجمع الناس والقبائل حوله ويبذل الأموال في سبيل ذلك وهو لا يدري أنه يهدم الوحدة الوطنية القطرية أو يدري ولكنه في سبيل زعامة قطر لا يبالي، وأخذ يستثير الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني نتصرفات غير مسئولة، مما دفع الشيخ قاسم إلى التصميم على تخليص قطر من هذه الفتنة واستعادة الوحدة الوطنية القطرية لقوتها، فجمع قواته والمتحالفين معه واتجه إلى حيث تجمع محمد بن عبد الوهاب والملتفين حوله، ولما حل الشيخ قاسم بساحتهم قتل بعضهم وصادر أموالهم ثم عفا عنهم واستقل بالامارة(١٧)، أما محمد بن عبد الوهاب فقد انتقل بعد هذه المعركة إلى بلدة «دارين» على ساحل الأحساء هو وجماعته حيث استوطنها(١٨).

ويبدو أن الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني قد حزن لهذا الخروج على الوحدة الوطنية القطرية، وأنه بذل في سبيل إنهاء هذا الخروج جهدا كبيرا، فعبر عن كل ذلك بشعر مرهف اختتمه بابراز فضل الله عليه الذي نصره، ودعا ابنه – الشيخ علي بن قاسم – الى التمسك بحبل الله المتين لكي يحوز النصر دائما.

ومن هذا الشعر نسوق الأبيات الآتية:–

أرى الجفن والنوم ما يألف الكرى　　　إذا هم في بعض الهمم والمطالب
قم يانديبي وارتحل عِيْدَ هيّة(١٩)　　　عمانية من ساس هجن نجـــايب

فأنا لي على كل البوادي قدايم(٢٠)   إذا نابهم سنة الغلا والحرايب(٢١)
أبذل لهم نفسي ومالي وعصبتي   وحصن لهم في موجبات النوايب

ويقول :

فلا خير فيمن يتبع الهون والردى   ورزقه بين معطي وطالب
يلومونني العذال في مطلب العلا   يقولون يسلك بك دروب صعايب
فلولا ركوب الصعب في كل شدة   وصبر على شداتها والكرايب
مالذ في الدنيا لذيذ ومطعم   ولالذ لي فيها لذيذ المشارب

ويقول :

ولينا وعفّينا وجدنا بعتقهم   وجدنا لهم بأموالهم والرِّبايب

ويقول لابنه :

تمسك بتقوى الله وأخلص له العمل   بعلم على حق صواب وصايب
ترى من أطاع الله طاعت له الملا   وذلّت له أرقاب الملوك الصعايب

وأجابه ابنه الشيخ علي بن قاسم بقوله :

لك الحمد يامن هو لنا في النوايب   معين على شداتها بالوهايب
فقد رابني من يمّة الغرب دولة   طوابير روم(٢٢) محنقين غضايب
وقد رابني من يمّة الشرق دولة   نصارى يدورون(٢٣) الحجج والسبايب
ونادى لهم من يمّة العجم شوشة   تحاموا علينا مدعين طلايب
وثوّب لهم(٢٤) من يمّة الجدى(٢٥) دولة   أخاليط فيها من بعيد وقرايب
ومع ذا وفى الشيخ اليماني(٢٦) عصابة   اهناوية فينا تدور الضرايب
تعاطوا علينا بالعداوة جميعهم   ولا ثمّنوا دوراتها والعقايب
فما نجحد الموالي واسع العطا   بحيث أن جعل فينا عطيب الضرايب(٢٧)

المحافظة على استمرار الوحدة الوطنية القطرية في مواجهة التنافس التركي الانجليزي

ورابع صروح الوحدة الوطنية في شبه جزيرة قطر يتمثل في المحافظة على استمرار هذه الوحدة أمام تنافس انجليزي عثماني حول السيطرة على شبه الجزيرة القطرية وسلبها كيانها الذاتي وشخصيتها السياسية، ذلك أن الانجليز كان لهم نشاط بحري في الخليج تزايد منذ أن قضوا على النفوذ البرتغالي والهولندي هناك، وانفردوا هم بالنفوذ من أجل إحكام سيطرتهم على الهند المستعمرة البريطانية الكبرى.

وكانت انجلترا قد لجأت من أجل فرض نفوذها في الأقطار العربية الخليجية إلى عقد معاهدات مع حكام هذه الأقطار تعطي لانجلترا نفوذا كبيرا بوضع أقطار الخليج العربية تحت الحماية البريطانية، وذلك منذ أول القرن التاسع عشر وتمثل معاهدة عام ١٨٦٨م التي وقعها الشيخ محمد بن ثاني والد الشيخ قاسم أول اتصال رسمي بين قطر وبريطانيا تعهدت فيها بألا تخرق السلم البحري واعترف فيها الشيخ محمد بن ثاني بسلطة المقيم البريطاني بالخليج في فض المنازعات أو الخلافات الناجمة عن تطبيق المعاهدة(٢٨).

واعتمدت السياسة البريطانية اعتمادا كبيرا في تنفيذ خططها وسيطرتها على قطر بتعميق هوة الخلافات الشخصية بين شيخ الدوحة – الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني – ورؤساء القبائل والعشائر القطرية وشيوخ البحرين، وتثير المشكلة تلو المشكلة لتتمكن من إحكام سيطرتها وإجبار الأطراف المتنازعة على طلب مساعدتها سواء بالسلاح أو التأييد المادي والمعنوي(٢٩)، ولكن ظهور الأتراك العثمانيين في الخليج العربي واحتلالهم لقطر قد أضر بتنفيذ مخططات انجلترا الاستعمارية لظهور قوة كبيرة في المنطقة(٣٠).

وكان العثمانيون الذين فرضوا سلطانهم على العراق منذ عام ١٥١٤م ومصر

والحجاز منذ عام ١٥١٧م قد تطلعوا إلى الخليج، فقام جيش عثماني بالاستيلاء على الأحساء عام ٩٦٣هـ الموافق ١٥٥٥م وظلوا بها حتى استخلصها منهم «براك بن غرير» من «بني خالد» عام ١٠٨١هـ الموافق عام ١٦٨٣ تقريبا(٣١) ثم عادوا مرة أخرى إلى الخليج بعد أن استقر الأمر لهم في العراق، ومن ثم رأيناهم في أقطار الخليج العربية ابتداء من أوائل النصف الثاني للقرن التاسع عشر.

ومع وجود الأتراك العثمانيين في الدوحة منذ عام ١٨٧١م الذي يمكن وصفه بالاحتلال المباشر أطلقوا يدي آل ثاني في مزاولة السلطة وادارة شئون قطر، ومن ثم قامت سياسة الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني في الفترة من عام ١٨٧١ إلى ١٨٩٣م على التحالف مع الأتراك، ولكن السياسة تحولت من عام ١٨٩٣ إلى ١٩١٣م في اتجاه التحالف والاعتاد على بريطانيا، وكان السبب المباشر لهذا التحول هو محاولة تقوية قبضتهم على قطر من خلال مشروع عاكف بك متصرف الأحساء في إقامة إدارة تركية مباشرة في قطر وانشاء إدارة للعوائد الجمركية(٣٢)، ولا شك أن كل ذلك يضعف من الوحدة الوطنية القطرية ذات الكيان السياسي الذي يرعاه الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني، والذي اعتبر «عاكف بك» تدخلاً مباشرا في سلطاته وحداً من الاستقلال الذي تمتعت به قطر عام ١٨٦٨م، وبالتالي تعود قطر إلى عهد ماقبل الوحدة الوطنية، ولعل هذا يفسر لنا بحث الشيخ قاسم عن حليف آخر للمحافظة على الوحدة الوطنية القطرية.

وأمام أطماع كل من انجلترا وتركيا في قطر، ونظرا لتفوق القوتين أمام قوة قطر العسكرية، فقد قبل الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني رفع العلم التركي في الدوحة منذ عام ١٨٧١م رغم معارضة والده الشيخ محمد الذي ظل يرفع العلم العربي على بيته(٣٣)، وكان الأتراك قد أرسلوا قوة عسكرية إلى شبه جزيرة قطر في ذلك بأمر «مدحت باشا» والى العراق التركي بعد أن احتلت القوات التركية ميناء القطيف بالاحساء.

ويبدو أن الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني قبل التعاون مع الأتراك العثمانيين

بحكم أنهم القوة البرية الاسلامية التي تعاون معها من قبله آل الصباح بالكويت، وأنه قبل بالوجود التركي من أجل مناوأة سيطرة بريطانيا البحرية في الخليج، ويدل على ذلك التحركات المحمومة للمقيم العام البريطاني ومساعده في الخليج عقب نزول قوات العثمانيين ورفع علمهم في قطر، وقد استطاع الشيخ قاسم تهدئة ثائرة الانجليز دون أن يستجلب عداءهم.

وكان النفوذ التركي لا يتعدى حدود مدينة الدوحة وضواحيها القريبة، وسحبت تركيا عام ١٨٧٢م قواتها النظامية التي كانت في مدينة الدوحة وأبدلتها بثلاثين رجلا من رجال الضبطية أي الشرطة، وأصبحت قطر قائمقامية تتبع لواء الأحساء الذي يحكمه متصرف يخضع لوالي ولاية البصرة، ويتبع قائمقامية قطر بعض القرى الصغيرة على رأس كل منها مدير يخضع الى قائمقام قطر وكان الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني أول قائمقام لقطر(٣٤).

ولم يكن الشيخ قاسم ليقبل بوجود الأتراك العثمانيين في الدوحة على حساب الوحدة الوطنية في قطر، ولذلك رأيناه يقبل من الأتراك العثمانيين منصب قائمقام لحكام قطر عام ١٨٧٦م، في الوقت الذي بدأت فيه تركيا تروج لفكرة الجامعة الاسلامية، ولم يجد الشيخ قاسم غضاضة في أن يقبل هذا المنصب في هذا الاطار الاسلامي الذي وجد له صدى كبيراً بين الزعماء العرب والمسلمين، وطالما لم يتدخل الأتراك العثمانيون في زعامته الداخلية ركيزة الوحدة الوطنية.

إلا أن الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني كان على استعداد لاتخاذ موقف العداء من الأتراك العثمانيين إذا شعر بمؤامرات يحيكونها ضد وحدة قطر الوطنية، ومن ثم نجد له مواقف وطنية أمام محاولات الأتراك العثمانيين إحكام قبضتهم على قطر خلال أعوام ١٨٨٩/١٨٩١م، خاصة عندما أصرت تركيا على إقامة إدارة تركية مباشرة في قطر، وفرض التنظيمات التي رأت السلطات التركية تنفيذها بسبب وقف الامدادات المالية غير المحسوبة التي كان يحصل عليها

الشيخ قاسم من خلال فرض الضرائب(٣٥) ومحاولة الوالي التركي في البصرة إحكام السيطرة التركية على قطر بتعيين مساعد لقائمقام قطر الشيخ قاسم دون موافقة الأخير، وتعيين مديرين «للزبارة» و «العديد»، وتجهيز قوة تركية قوامها أربعمائة جندي لتقوية الحامية التركية في قطر(٣٦).

ولم يكن الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني ليقبل تلك الاجراءات التي تنتقص من سلطته وتهدد الوحدة الوطنية القطرية، ولذلك حدث الصدام بين قطر والأتراك العثمانيين بدأ باذاعة الشيخ عن عزمه في الاستقالة من منصب القائمقام على قبائل شبه جزيرة قطر، وأن الأتراك العثمانيين تسلطوا على البلاد، وهذا الاعلان كان بمثابة إنذار بالحرب لأن القبائل التي قبلت بزعامة الشيخ قاسم لم تكن على استعداد لأن تخضع للحكم التركي المباشر بما يحمله لهم من احتلال واستغلال.

وتطورت الأمور بين الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني وبين الأتراك العثمانيين إلى الحرب بعد أن أيقن من مؤامرات الأتراك العثمانيين وخيانتهم له عام ١٨٩٣م، وجعل من إنشاء دار للعوائد الجمركية في الدوحة سببا رئيسيا للجهر بعدائه متذرعا بأن الضرائب على التجارة والسفن الوطنية ودخل اللؤلؤ سيترتب عليها هجرة السكان بمجرد تطبيق هذا الاجراء، كذلك علل الشيخ قاسم عدم موافقته على تعيين مساعد له بأنه سيتدخل في الشئون القطرية الخاصة دون مراعاة للروح البدوية والنظام القبلي السائد في التعامل بين الشعب القطري(٣٧).

و بدأت تركيا العداء باحضار قوة تركية برية قوامها ١٥٠ جنديا، وسفينة بحرية وجهت نيرانها للدوحة في الوقت الذي لقيت فيه القوة التركية البرية هزيمة منكرة أمام قوات قطر بقيادة الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني في ٢٦ مارس ١٨٩٣م، كان من نتيجتها إطلاق سراح الشيخ أحمد بن محمد آل ثاني شقيق الشيخ قاسم و ١٢ من أعيان الدوحة الذين احتجزهم الأتراك العثمانيون رهائن

قبل المعركة، كما كان من نتيجة المعركة عزل والي البصرة الذي دبر الهجوم على قطر وأدار المعركة بنفسه وهو محمد حافظ باشا.

ونتيجة للسياسة التركية نحو الوحدة الوطنية في قطر، فقد بدأت سياسة التقارب بين قطر والانجليز، وذلك للأسباب التالية:-

١ - عجز الأتراك العثمانيين عن التعاون مع الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني من أجل المحافظة على استقلال قطر ووحدتها الوطنية في مواجهة طلبات البحرين المالية والاقليمية.

٢ - الاعتداء المستمر للمأمورين والمديرين الذين كانت تعينهم السلطات التركية المسئولة للعمل في قطر على رعاياهم الى جانب وقوع منازعات كثيرة بين العسكريين من رجال الحامية العثمانية والقبائل البدوية الضاربة على حدود قطر والتي كانت تدين للشيخ قاسم بالولاء(٣٨)، في اطار الوحدة الوطنية القطرية.

٣ - ظهور ضعف الدولة العثمانية بعد هزيمتها أمام الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني، تلك الهزيمة التي تؤدي بالتالي إلى القضاء على مركز الدولة في أعين العشائر البدوية لذا فقد أعلن الباب العالي أن ما فعله والي البصرة كان دون علم منه، فاتجهت الدولة العثمانية إلى التفاوض مع قاسم(٣٩).

لكن أخطر نتائج الصدام بين قطر والأتراك العثمانيين كان إدراك الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني لخطر الوجود التركي، وأنه لابد من عمل توازن في العلاقة مع الأتراك العثمانيين لتحسين علاقته بالانجليز، ورفض التعاون مع الأتراك العثمانيين على النحو الذي كان قبل معركة ٢٦ مارس ١٨٩٣م، ففي عام ١٨٩٧م رفض الشيخ قاسم باسم قطر المساهمة في الحرب الدائرة بين تركيا واليونان آنذاك، ورفض الشيخ قاسم قبول دعوة من متصرف الاحساء التركي

لزيارة المتصرفية ومعه شقيقه الشيخ أحمد.

وقد ظل الأتراك العثمانيون موجودين بقطر حتى جلوا عنها أثناء الحرب العالمية الأولى ولكن مع اعترافهم بآل ثاني لقطر الموحدة، وإذا كان الشيخ قاسم قد اعتزل منصب القائمقام بعد معاركه مع الأتراك فان الأتراك لم يعترفوا إلا بزعامته وعهدوا إلى شقيقه أحمد بمنصب مساعد القائمقام مع استشارة الشيخ قاسم في كل الأمور، رغم ما ذكره متصرف نجد من أن الشيخ قاسم تغلب عليه الطبيعة البدوية من خشونة مما أدى إلى عدم تأثير نصائحي ونصائح أسلافي بحسب المناسبات الملائمة من حيث المكان والزمان، وينصح المتصرف بابقاء الشيخ قاسم في منصب القائمقامية والعمل الملح لاقناعه لآخر نفس بأخذ موافقته لتنفيذ الاجراءات المتصورة(٤٠).

وأما اتجاه الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني إلى الانجليز لعمل توازن في علاقته مع الأتراك العثمانيين فان ذلك يعطي دليلا على زعامة هذا الرجل وشخصيته، وحرصه على الوحدة الوطنية لقطر، ففي الوقت الذي كان يحمل فيه رتبة القائمقام العثمانية اتصل بالسلطات البريطانية مباشرة، وهذا أمر لم يكن مسموحا به للولاة العثمانيين ناهيك عن المتصرفين والقائمقامين.

تقدير الدولة السعودية لزعامة آل ثاني

وخامس صروح الوحدة الوطنية في شبه جزيرة قطر تقدير الدولة السعودية لزعامة آل ثاني، ذلك التقدير الذي تجلى في مواقف كثيرة، كترحيب الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وترحيبه بقيام الدولة السعودية الحديثة على يد «الأمير» عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، لأن في وجود هذه الدولة العربية الاسلامية الكبرى وقوتها في شبه الجزيرة العربية، وعلى الجانب الآخر من حدود قطر، قوة لوحدة شبه جزيرة قطر الوطنية في مواجهة الأخطار الخارجية.

وكان انتشار الدعوة السلفية في قطر مما يقرب بين آل ثاني وآل سعود، ومن ثم لم يكن غريبا أن نجد الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني يذهب للترحيب بعبدالعزيز آل سعود حينما ظهر قرب ساحل السلام أواخر سنة ١٩٠٥م(٤١).

وفي مقابل المساعدات التي تلقاها عبد العزيز آل سعود من الشيخ قاسم ابن محمد آل ثاني خلال سنوات حرب ابن سعود مع ابن الرشيد، وهي المساعدات التي شدت من أزره في وقت المحنة، فقد وجد ابن سعود في الفترة من ٥ يونيو حتى أغسطس عام ١٩٠٥م أنه من الواجب عليه تقديم المساعدة والعون لشيخ قطر أثناء الفتنة الأهلية في إمارته، تلك الفتنة التي كان يقودها أخوه الشيخ أحمد بن ثاني والتي كان هدفها انتزاع الامارة من قاسم(٤٢).

وقد تمثل تقدير آل سعود لزعامة الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني في قبول شفاعة الأخير في «آل بسام» من عنيزة الذين كانوا من أعداء «الامام» عبدالعزيز آل سعود وغلبهم وأخذ زعماءهم إلى الرياض عام ١٩٠٤م أكثر من عام، ولم يقبل شفاعة أشراف مكة وزعماء البصرة فيهم حتى تشفع فيهم الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني فقبل «الامام» عبد العزيز آل سعود شفاعته، وأرسل زعماء آل بسام مع خدمه إلى قطر عام ١٣٢٢هـ(٤٢).

كما تمثل تقدير آل سعود لزعامة الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني أيضا، في قبول عبد العزيز آل سعود شفاعة الشيخ قاسم في أمير بلاد الحريق –في نجد– المسمى «راشد الهمزاني» وجماعته لما شق العصا ونقض بيعة الامام وصار جريرة سوء، أسره الامام وحبسه في بلاده الرياض ولم يظن أحد أنه يفك أسره أبدا لأنه أجرم جرما كبيرا في الولاية للمسلمين فشفع فيهم الشيخ قاسم، فأطلقه له الامام وأرسله مع عبد الرحمن بن سويلم بقطر(٤٤).

كانت تلك إذن صروح الوحدة الوطنية في شبه جزيرة قطر التي عمل لها الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني طوال حكمه وزعامته لشبه الجزيرة، وهي جميعا

توضح الجهود المضنية والطويلة التي بذلها الشيخ قاسم في سبيل تحقيق وتثبيت الوحدة الوطنية القطرية أمام قوى أكثر نفوذا وأوضح أطماعا، وظروف أكثر صعوبة وذلك على المستويين الخارجي والداخلي. وعندما خلفه في زعامة قطر ابنه الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثاني كانت الوحدة الوطنية القطرية مستقرة اعترفت بها الأقطار العربية في شبه الجزيرة واعترفت بها انجلترا بتوقيع معاهدة بين الطرفين كانت أول اعتراف دولي باستقلال قطر.

الهوامش

(١) د. صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربي ص ١٥٥.
(٢) عبد العزيز المنصور : التطور السياسي لقطر (١٨٦٨–١٩١٦) ص ٢٣.
(٣) نفس المصدر ص ٢٤.
(٤) د. صلاح العقاد : المرجع السابق ص ١٥٦.
(٥) د. جمال زكريا قاسم : الخليج العربي (١٨٤٠–١٩١٤) ص ٢٣٥.
(٦) حسين بن غنام : تاريخ نجد – ص ١٨٠ –.
(٧) حافظ وهبة : جزيرة العرب في القرن العشرين ص ١٠٢.
(٨) مركز أبحاث شركة أرامكو : عمان والساحل الجنوبي للخليج الفارسي ص (٢٨٠).
(٩) عبد العزيز المنصور : المرجع السابق ص ٢٤.
(١٠) لوريمر : دليل الخليج – القسم التاريخي جـ ٣ ص ١٢١٤.

(11) F.O. 424,Confidential (9482): Further correspondence respecting the Affairs of Asistic Turkey and Arabia, 217: Sir G. Lowther to Sir Edward Grey, Pera, December 15, 1908. Piece 68.

(12) Ibid, Inclosure 1 in No. 68 Consul Crow to Sir Gerald Lowther, Bussorah, November 20, 1908.

(13) Ibid, Inclosure 2 in No. 68 British Resident, Bushire (M.E. Rae) to consul Crow. Bushire, November 17, 1908.

(14) Ibid, Inclosure 3 in No. 68: Extract from the Diary of the Bahrein Political Agency for the week ending. November 13, 1908, Item 354, November 7.

(١٥) عبد العزيز المنصور : المرجع السابق ص ٢٨.
(١٦) لوريمـــر : المرجع السابق ص ١٢٢٢.
(١٧) ديوان الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني ط ١٦.
(١٨) عبد العزيز المنصور : المرجع السابق ص ١٤٧.
(١٩) عِيْد هيّة : من صفات الناقة الطيبة
(٢٠) قدايم : يعني معروف سابق.
(٢١) الحرايب : الحروب وما يتبعها من تلف وشدة.
(٢٢) طوابير روم : يعني عسكر الدولة العثمانية.
(٢٣) النصارى : يقصد بهم الانجليز الذين يثيرون الفتن ويبحثون عن أسبابها.
(٢٤) ثوّب لهم : استجاب لهم.
(٢٥) من يمّة الجدى : من جهة الشمال.
(٢٦) الشيخ اليماني : يقصد الشيخ زايد حاكم عمان حين ذاك.
(٢٧) عطيب الضرايب : الذي إذا سدد الضرب أصاب هدفه والمقتل. والأبيات والتوضيحات من كتاب ديوان الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني ص ١٦ – ٢٠.
(٢٨) د. جمال زكريا قاسم : الخليج العربي (١٨٤٠ – ١٩١٤) ص ٤٧٢.
(٢٩) نفس المرجع ص ٢٣٦.
(٣٠) د. سيد نوفل : الأوضاع السياسية لامارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة ص ٦٣.
(٣١) أمين الريحاني : تاريخ نجد الحديث وملحقاته ص ٧٢.
(٣٢) عبد العزيز المنصور : المرجع السابق ص ٢٦ – ٢٧.
(٣٣) العلم العربي هو علم الهدنة الذي قبل حكام الامارات العربية الخليجية رفعه على بلادهم احتراما لاتفاقية السلم البحري مع بريطانيا. عبد العزيز المنصور: المرجع السابق ص ١٤٠.
(٣٤) نفس المرجع ص ١٤١.
(٣٥) لوريمـــر : المرجع السابق ص ١٢٢٤.
(٣٦) سالدانا : الشئون القطرية.. ص ١٦٤.
(٣٧) نفس المرجع ص ١٦٤.
(٣٨) الألوسي : تاريخ نجد .. ص ٣٨.
(٣٩) د. جمال زكريا : المرجع السابق ص ٢٤٦.
(٤٠) إرادة عسكرية رقم ١٦ في ٢٧ محرم سنة ١٣١٠هـ، صورة التحريات الواردة من متصرفية نجد.
(٤١) د. صلاح العقاد : المرجع السابق .. ص ١٩٢.
(٤٢) عبد العزيز المنصور : المرجع السابق .. ص ٢٠٠.
(٤٣) ديوان الشيخ قاسم محمد ال ثاني ص ٣٦.
(٤٤) نفس المصدر ونفس الصفحة.

مصــادر البحث

أولا – الوثائق :

(أ) الوثائق البريطانية :

— F.O. 424, Confidential (9482); Further Correspondence respecting the Affairs of Asiatic Turkey and Arabia, 217. Piece 68.

(ب) الوثائق التركية :

١ – صورة التحريرات الواردة من متصرفية نجد : إرادة عسكرية رقم ١٦ في ٢٧ محرم سنة ١٣١٠هـ.

٢ – جدول إحصائية : إرادة عسكرية رقم ١٦ في ٢٨ محرم سنة ١٣١٠هـ.

٣ – صورة التحريرات الواردة من وكالة معاونية قائمقام قضاء قطر : إرادة عسكرية رقم ١٦ في ٢٧ محرم سنة ١٣١٠هـ.

وهذه الوثائق مترجمة إلى العربية ومحفوظة بقسم الوثائق بالديوان الأميري بالدوحة.

ثانيا – المؤلفـات :

١ – د. جمال زكريا قاسم : الخليج العربي، دراسة لتاريخ الامارات العربية (١٨٤٠ – ١٩١٤م) القاهرة ١٩٦٦م.

٢ – حسين بن غنام : روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الامام وتعداد غزوات ذوي الاسلام، المسمى تاريخ نجد تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد – القاهرة ١٩٦١م

٣ – د. سيد نوفل : الأوضاع السياسية لامارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة وهو كتابان الأول مدخل عام ودراسة للكويت، نشرة معهد الدراسات والبحوث العربية – القاهرة ١٩٦٧م، والكتاب الثاني يتناول ساحل عمان ونشره معهد البحوث والدراسات العربية أيضا – القاهرة ١٩٧٢م.

٤ – د. صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربي – القاهرة ١٩٧٤م.

٥ – شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) – إدارة العلاقات شعبة البحث، عمان والساحل الجنوبي للخليج الفارسي – مترجم – القاهرة ١٩٥١م.

٦ – ديوان الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني وقصائد أخرى نبطية، طبع على نفقة صاحب السمو الشيخ علي بن عبد الله بن قاسم آل ثاني حاكم قطر السابق، الطبعة الخامسة سنة ١٣٨٩هـ تحت إشراف دار الكتب القطرية.

٧ – عبد العزيز المنصور : التطور السياسي لقطر في الفترة ما بين ١٨٦٨–١٩١٦م، الطبعة الأولى – الكويت ١٩٧٥م.

٨ – سالدانا (جي. أي) الشئون القطرية من سنة ١٨٧٣ الى ١٩٠٤م، مترجم بقلم أحمد العناني ونشرته لجنة كتابة تاريخ قطر وطبع على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر – الدوحة ١٩٧٦م.

٩ – لوريمر (ج. ع) دليل الخليج – القسم التاريخي ٧ أجزاء، ترجمة مكتب الترجمة بديوان أمير دولة قطر – الدوحة ١٩٦٩م.

١٠ – حافظ وهبة : جزيرة العرب في القرن العشرين، طبعة ثانية، القاهرة ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م.

١١ – محمود شكري الألوسي: تاريخ نجد، حققه وعلّق عليه محمد بهجت الأثرى – الطبعة الثانية – القاهرة ١٣٤٧هـ.

١٢ – أمين الريحاني : تاريخ نجد الحديث وملحقاته – الطبعة الثانية، بيروت ١٩٥٤م.